

تفسير البحر المحيط

@ 433 { إِنْ زُيِّنَ لَهُ كَيْفَ يَكْفُرُ } فعداه بالباء وإما أن يتعلق بحفي على جهة التضمين لأن من كان حفيًا بشيء أدركه وكشف عنه فالتقدير كأنك كاشف بحفاوتك عنها وإما أن تكون عن بمعنى الباء كما تكون الباء بمعنى عن في قوله ، فإن تسألوني بالنساء فإنني ، أي عن النساء ، وقرأ عبد الله كأنك حفي بها بالباء مكان عن أي عالم بها بليغ في العلم بها . .

{ قُلْ إِنْ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ فَلَا ضَرْبَ عِلْمٍ } أي علم مجيئها في علم الله وطرفية عند مجازية كما تقول النحو عند سيويه أي في علمه وتكرير السؤال والجواب على سبيل التوكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها . { وَلاَ كُنْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ } قال الطبري : لا يعلمون أن هذا الأمر لا يعلمه إلا الله بل يظنون أكثرهم أنه مما يعلمه البشر ، وقيل : لا يعلمون أن القيامة حق لأن أكثر الخلق ينكرون المعاد ويقولون { إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا } الآية . وقيل : لا يعلمون أي أخبرتك أن وقتها لا يعلمه إلا الله . وقيل لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيت معرفة وقتها والأظهر قول الطبري . .

2 ({ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ } وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَرَادَ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّفَعْوَةٍ يُوْذُونَ }) 2 .

{ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ } . قال ابن عباس : قال أهل مكة ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري وتربح وبالأرض التي تجذب فترحل عنها إلى ما أخصب فنزلت ، وقيل لما رجع من غزوة المصطلق جاءت ريح في الطريق فأخبرت بموت رفاعه وكان فيه غيط المنافقين ، ثم قال انظروا أين ناقتي ، فقال عبد الله بن أبي : ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقتة ، فقال عليه السلام إن ناساً من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فردوها على فنزلت ، ووجه مناسبتها لما قبلها ظاهر جداً وهذا منه عليه السلام إظهار للعبودية وانتفاء عن ما يختص بالربوبية من القدرة وعلم الغيب ومبالغة في الاستسلام فلا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر فكيف أملك علم الغيب كما قال في سورة يونس { وَيَقُولُونَ مَتَى هَآذِهِ الْوَعْدُ } إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ { وقدم

هنا النفع على الضرر لأنه تقدم من يهدا فهو المهتدي ومن يضلل فقدّم الهداية على الضلال
 وبعده لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء فناسب تقديم النفع وقدم الضرر في يونس على
 الأصل لأن العبادة تكون خوفاً من عقابه أولاً ثم طمعاً في ثوابه ولذلك قال { يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً } فإذا تقدم النفع فلسابقة لفظ تضمنه وأيضاً ففي يونس
 موافقة ما قبلها ففيها ما لا يضرهم ولا ينفعهم ما لا ينفعنا ولا يضرنا لأنه موصول بقوله
 ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وفي يونس { وَلَا تَدْعُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ } وتقدمه { تُمْسِكُمْ بِرُءُوسِهِمْ } { وَتَدْعُونَ
 إِلَهُكُمْ } { كَذَلِكَ حَقُّ عِلَاقَتِنَا * نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ } وفي
 الأنبياء قال { أَفَتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا
 يَضُرُّكُمْ } وتقدمه قول الكفار لإبراهيم في الحاجة { لَقَدْ دَعَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ
 يَنْطِقُونَ } وفي الفرقان { وَيَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا
 يَضُرُّهُمْ }